الرحالة آلويس موزيل

الدكتور محمد كامل عياد

بين الرحالة الغربيين الذين تجولوا في جزيرة العرب ودوّنوا مشاهداتهم، يستحق المستشرق التشيكي الأستاذ (آلويس موزيل Alois Musil) اهتماماً خاصاً . فقد قام برحلات علمية عديدة الى مختلف الصحاري والبوادي والواحات في القسم الشمالي من جزيرة العرب ، ووضع خارطة شاملة لهذا القسم يمكن أن تفيد كثيراً في الدراسات التاريخية .

كانت الرحلة الأولى بين سنتي ١٨٩٦ و ١٩٠٢ م ، إذ نال الأستاذ (موزيل) منحة من مجمع العلوم والفنون التشيكي للتنقيب في (العربية الحجرية) أي البتراء وأطراف الحجاز الشمالية . وقد أعلن (موزيل) في تقرير قدمه الى المجمع العلمي في (فيينا) سنة ١٩٠٢ م أنه قد كشف عن (قصير عمرة) وغيره من القصور في الشرق من (مواب) .

ولما نشر المجمع العلمي النمسوي في سنة ١٩٠٧ م مجلدين ، يتضمن أحدهما تنقيبات (موزيل) في (قصير عمرة) ، والثاني مخططات القصر وصور جدرانه وزخارفه التي اشترك فنانون اختصاصيون مع (موزيل) في استنساخها وإعادة تكوينها ، احتدمت المناقشات حول البناء

● وجدت هذه المقالة في مسودات الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد ، أسبغ الله عليه رحمته ورضوانه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأصحابه ، ثم اتسعت هذه البحوث الأثرية فشملت قصر (المشتى) الذي كان قد عثر عليه من قبل ، وقصر (الطوبي) الذي كشف عنه (موزيل) أيضاً مع (قصير عمرة) ، وتضاربت النظريات حول مبادىء الفن الإسلامي حتى انتهى الأمر أخيراً الى إثبات ان هذه القصور وأمثالها في البادية كانت من العهد الأموي .

إن نجاح (موزيل) في رحلته الأولى قد أثار لديه الرغبة في متابعة تنقيباته وبحوثه ، فرحل في سنتي ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ الى (العربية الصحراوية) أي الحماد والأراضي الواقعة بين (الجوف) جنوباً و (الميادين) على الفرات شمالاً . ثم تجوّل في سنة ١٩١٠ م في شمالي الحجاز ، وانتقل في سنة ١٩١٢ م الى بادية (تدمر) ، ثم في سنتي ١٩١٤ ـ ١٩١٥ م الى صحراء (النفود) و (الدهنا) .

كان الأستاذ (موزيل) يحسن التحدث بلهجة البدو ويعرف الكثير من أحوالهم وقد استطاع أن يعيش ويتنقل معهم كأنه واحد منهم فتوثقت أواصر الصداقة بينه وبين بعض شيوخ القبائل وفي مقدمتهم (نوري الشعلان) أمير قبائل (الرولا) الذي توسط (موزيل) لدى الحكومة العثمانية للافراج عنه من الاعتقال . وقد تآخى (نوري الشعلان) مع (موزيل) ، واعتبره من أفراد عشيرته فصار يعرف بين البدو باسم (الشيخ موسى الرويلي) .

كذلك حظي الاستاذ (موزيل) بكثير من المساعدات من الحكومتين النمساوية والتركية ، ثم من قيادة الجيش الألماني ، وتمكن بفضل ذلك من دراسة شؤون القبائل والأحوال الطبيعية في القسم الشمالي من جزيرة العرب ، وتصوير الأماكن التي زارها ورسم خرائط دقيقة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لها . وبالإضافة الى المجلدين عن (قصير عمرة) نشر له المجمع العلمي في (فيينا) سنة ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ كتاباً باللغة الألمانية عن رحلته الى « العربية الحجرية » في ثلاثة أجزاء : الأول عن بلاد (مواب) ، والثاني عن بلاد (أدوم) ، ويتضمن الثالث تقريراً أثنوغرافياً عن هذه الرحلة ، كما نشر له في سنة ١٩١١ تقريراً أولياً عن رحلته إلى شمالي بلاد الحجاز .

I) Alois Musil , Arabia Petràea . 3 vls.

vol. 1 : Moab; vol. 2: Edom ; vol. 3: Qthnologixher Reisebericht. Wien 1907 - 1908

II) Alois Musil , Im nördlichen Ḥeǧâz.

Vorbericht über die Forschungsreise 1910. Wien 1911

ثم بعد الحرب العالمية الاولى تم الاتفاق بين المجمع العلمي التشيكوسلوفاكي وبين الجمعية الجغرافية الاميريكية على أن تتولى هذه الأخيرة نشر نتائج رحلات الأستاذ (موزيل) التي قام بها بين سنة ١٩٠٨ و سنة ١٩١٥ ، فصدرت بين سنتي ١٩٢٦ ـ ١٩٢٨ ، ضمن « سلسلة الاكتشافات والدراسات الشرقية » التي تنشرها تلك الجمعية ، ستة مجلدات باللغة الانكليزية ، مطبوعة طبعاً جميلاً ومزينة بالصور والرسوم والمخططات ، مشفوع كل منها بعدة خرائط . وهذه المجلدات تتضمن رحلات الاستاذ (موزيل) حسبما يأتي : ١) شمالي الحجاز ؛ ٢) العربية الصحراوية (بادية الشام) ؛ ٣) الفرات الأوسط ؛ ٤) بادية (تدمر) ؛ ٥) شمالي نجد ؛ ٦) تقاليد وعادات عرب (الرولا) .

Alois Musil: 1) The Nothern Ḥeǧây; 2) Arabia Deserta; 3) The Niddle Guphrates; 4) Palmyrena; 5) The Northern Nêǧd; 6) The Manners and Customs of the rvala Bedouins.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في المجلد السادس دراسة شاملة ، دقيقة للقبائل العربية في بادية الشام وصف فيها (موزيل) حياة البدو من كل الجوانب ، فذكر مراسيم الزواج وأساليب تربية الأطفال وترويض الخيل وأنواع الأزياء والأسلحة والأغذية وتجهيز الخيام وقواعد الضيافة وأصول المحاكمة وعادة الثأر وأنظمة الحرب والسلم ، كما تعرض الى عقائد هؤلاء البدو والخرافات الشائعة بينهم وترجم كثيراً من أناشيدهم وأشعارهم .

أما في المجلدات الأخرى فقد أجاد الاستاذ (موزيل) في وصف المناطق التي زارها وصفاً علمياً ، دقيقاً من وجهة طبقات الأرض والموقع الجغرافي والتكوين الطوبوغرافي ، فتكلم بإسهاب على الجبال والتلول والأودية والشعاب والآبار والغدران والسبخات والبراكين والضلوع المكونة من الحمم ، كما كان يتوسع في وصف الواحات والقرى والمدن الأثرية والطرق ، ويرفق ذلك بصور شمسية ورسوم توضيحية . ثم كان يحرص على ضبط أسماء الأماكن المختلفة وتحديد مواقعها والتحقيق في أصولها . وقد استعان بفنيين اختصاصيين من المعهد الجغرافي العسكري في (فيينا) كانوا يرافقونه لقياس الأبعاد والمسافات ، ولرسم خرائط مفصلة لكل المناطق التي زارها ، أشار فيها الى مراحل رحلاته والأماكن التي مر بها .

على أن الاستاذ (موزيل) لم يكن يريد زيارة هذه الأماكن لمجرد أغراض جغرافية ـ طوبوغرافية ، بل لأهداف تاريخية في الدرجة الاولى ، إنه كان يسعى الى معرفة نشأة القرى والمدن والحصون والطرق التي كانت مسرحاً لأحداث الماضي وما طرأ عليها من تطورات في مختلف العصور . فكان كلما اجتاز مكاناً يشير في الهامش الى مايذكره عنه الرحالة أو الجغرافيون أو المؤرخون منذ القديم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كذلك كان الاستاذ (موزيل) يحاول أحياناً أن يعرف شيئاً عن الأوضاع السياسية والعلاقات بين القبائل البدوية . وهو يروي في الصفحة الاولى من كتابه عن (شمالي الحجاز) أنه تلقى في آذار سنة ١٩١٠ دعوة الى استانبول حيث جرت مفاوضات بينه وبين الحكومة التركية وادارة الصحة العامة حول رحلته الاستكشافية المنتظرة الى تلك البلاد . فقد كان المسؤولون عن ادارة الصحة العامة يرغبون في الكشف عن الطرق التي كان يسلكها الحجاج للتهرب من المرور بمركز الحجر الصحي في (تبوك) ، ويريدون أن يدرسوا هل من الممكن تحويل هذا المركز الى مكان آخر أفضل ، وأن يعرفوا ماهي الوسائل اللازمة لفرض الرقابة الصحية .. ثم إن وزير الداخلية التركي اذ ذاك ، وهو (طلعت باشا) المشهور ، طلب من الاستاذ (موزيل) الاطلاع على مواقف رؤساء القبائل وآرائهم السياسية ودراسة الأماكن الصالحة لاسكان البدو وتحضيرهم . وقد وعد الوزير بتقديم كل المساعدات قائلاً إنه سوف يرسل تعليماته الخاصة الى والي دمشق في ذلك الوقت اسماعيل فاضل باشا . على أن الاستاذ (موزيل) لم يتمكن من الاجتماع بالوالي الذي كان غائباً عن دمشق في جولة تفتيشية ، وصرح وكيلُه بأنه لا يعلم شيئاً عن تعليمات الوزير الخاصة ، وأنه في استطاعة (موزيل) أن يسافر الى الحجاز ولكن بالسكة الحديدية فقط . وقد ركب (موزيل) القطار مع مساعديه الفنيين النمساويين حتى (معان) . وهناك تولى بنفسه تنظيم رحلته على الإبل بالاستناد الى أصدقائه من زعماء البدو مثل (عودة أبو تايه) رئيس قبيلة (الحويطات) . وكان أقصى ما يتمناه ألا يتدخل موظفو الحكومة التركية في شؤونه لمعرفته بأن سلطتهم لم تكن تتعدى مسافة قصيرة من سكة الحديد ...

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد عني الاستاذ (موزيل) ببعض الموضوعات الهامة فتعمق في دراستها ودوّن أبحاثه المتعلقة بها في ملاحق خاصة وضع عدداً منها في آخر كل مجلد : إن المعلومات والملاحظات والاجتهادات التي وردت في هذه الملاحق لا تخلو أحياناً من بعض الأغلاط والملابسات وهي تحتاج الى المراجعة واعادة النظر ، ولكنها تدل بوجه عام على سعة اطلاع الاستاذ (موزيل) ودأبه على البحث والاستقصاء ويمكن القول إنها كنز ثمين وبحر زاخر من العلم لا يستغني عنه كل من يقدم على دراسة تاريخ الجزيرة العربية . ويكفي أن نذكر أنه ظل مدة ثلاثين سنة يجمع المواد التي سجلها في الملحقين المتعلقين بتاريخ أسرتي آل السعود وابن الرشيد .

وسأقتصر على استعراض بعض ما تتضمنه هذه الملاحق من موضوعات :

١ ـ هناك اولاً بحث عن مدينة (معان) وضواحيها مع خارطة لها وأسماء القبائل والعشائر التي تسكنها ، وعن أهمية موقعها حيث كانت تتلاقى منذ القديم طرق النقل والمواصلات في اتجاه العقبة وغزة ومصر ودمشق والموانئ الفينيقية و (دومة الجندل) فبابل ...

وقد رجع الأستاذ (موزيل) الى أسفار التوراة التي ورد فيها ذكر قبيلة (معون) أو سكان (معون) . وهو يعتقد أن المقصود بذلك واحة (معان) التي لا يشير اليها المؤلفون الرومان ، لأن الحركة التجارية في عهدهم كانت قد تمركزت في مدينة (البتراء) . وينقل عن (الاصطخري) و (ابن حوقل) ان (معان) كانت مدينة كبيرة وحصناً قوياً في منطقة (الشراة) ، وعن البكري قوله إنها حصن كبير في فلسطين تبعد مسيرة خمسة أيام عن دمشق في الطريق الى مكة ، كما ينقل عن (البكري) ما يرويه عن (فروة بن عمرو) من قبيلة جذام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي كان حاكماً على حصن (معان) وضواحيه في العهد البيزنطي ، والذي أسلم وأرسل بغلة بيضاء الى الرسول (صلعم) ، فلما بلغ الروم خبر ذلك قبضوا على (فروة) وصلبوه .

٢ ـ البحث عن حدود الحجاز الشمالية :

كان (بطلميوس) يرسم حدود « العربية السعيدة » اعتباراً من موقعي (أيلة) و (حقل) على البحر الأحمر بخط في الاتجاه الشمالي ـ الشرقي حتى سلسلة جبال (الشراة) التي كانت سفوحها الجنوبية تفصل « العربية السعيدة » عن « العربية الحجرية » ، ذلك لأن (بطلميوس) كان يهتم بالحدود الجغرافية ـ الطبيعية وليس بالحدود السياسية .

أما المؤلفون العرب فإنهم كانوا يطلقون على الجزء الشمالي من « العربية السعيدة » اسم (الحجاز) الذي تنطبق حدوده مع حدود العربية السعيدة الشمالية . وهكذا كان الرحالة والجغرافيون العرب يعتبرون جبال الشراة الحدود الجغرافية الطبيعية بين سورية والحجاز ، رغم ما قد يطرأ من تغييرات في التقسيمات الادارية في مختلف العهود . فنرى (المقدسي) مثلاً يذكر مدينة (مدين) مرة على أنها ضمن منطقة ادارية سورية في حين أنه يقول في مكان آخر إنها تقع في الحجاز قريباً من حدوده الشمالية . وبعد أن يستعرض (موزيل) أقوال الجغرافيين العرب يرد على المستشرق البلجيكي الأب (لامنس) الذي نشر بحثاً عن الحدود القديمة بين سورية والحجاز ادعى فيه أن هذه الحدود تقع بمكان ما الى الجنوب من واحة (العلاء) .

ويعترف (موزيل) بسعة معلومات (لامنس) وبراعته في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاستشهاد بأقوال المؤلفين العرب ولكنه يتهمه بأنه لا يفسر هذه الأقوال بأمانة ونزاهة ، وأنه لا يميز بين الحدود الجغرافية ـ الطبيعية والحدود السياسية ، وأنه أهمل آراء الكتاب اليونانيين والرومان ...

٣ ـ « الحميمة » :

في طريقه من (معان) الى (العقبة) مر الاستاذ (موزيل) في منطقة جبال الشراة بالمكان المعروف باسم (الحميمة) ، حيث كان يعيش في العهد الأموي (محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) الذي جعل منها مركزاً للدعوة العباسية .

لم يعثر (موزيل) هنا على مقابر أو نقوش سوى لوحة حجرية صغيرة عليها كتابة باليونانية والنبطية . ذلك لأن الأبنية التي كانت قائمة قديماً إنما شيدت من الحجر اللين ، وهي قد تهدمت وانقلبت الى أكوام من مسحوق الكلس . ولكن (موزيل) شاهد بينها الكثير من آثار الأحواض والصهاريج لخزن مياه الأمطار ، كما تبين له من بقايا بعض الأبنية أنها كانت تشبه من حيث طرازها المعماري البيوت المتهدمة في (وادي موسى) . وقد استنتج من ذلك ان الحميمة أيضاً أسست بالتأكيد من قبل الأنباط .

ويذهب (موزيل) الى أن (الحميمة) هي نفسها مدينة (اوارة) التي يذكر (بطليموس) أنها تقع في « العربية الحجرية » والتي تحدد الخارطة الرومانية القديمة مكانها على الطريق العام بين (أيلة) و (البتراء) . ثم يقول إن اسمها كان في الأصل (حوارة) فقلبه السكان الى (الحميمة) بينما أصبح في السريانية (اوارة) . وتفيد كلمة حوارة بالآرامية والعربية اللون الأبيض وهو لون الصخور والتراب السائد في هذه البقعة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما تابع (موزيل) طريقه الى العقبة توقف عند محطة للبرق والبريد اقامتها الحكومة التركية سنة ١٩٠٨ الى جانب اطلال حصن روماني في موقع يسمى (القويرة) . وقد عثر (موزيل) على شواهد كثيرة من معالم طريق عسكرية رومانية ترجع الى عهد الامبراطورين (قسطنطين) و (كونستانس) تمتد عبر وادي (التيم) يبلغ طولها من الحمية الى القويرة (٢١) كيلو متراً .

إن حصن (القويرة) الذي صور (موزيل) قسماً من أطلاله كان ينتصب في نقطة تقاطع بين طريقين هامتين من طرق المواصلات القديمة تمتد احداهما من (مدين) الى (البتراء) ، والثانية من مرفأ (أيلة) الى (معان) .

٤ ـ مدينة (مدين) :

يعود الفضل الى (موزيل) قبل غيره في دراسة المنطقة الواقعة على الشاطيء الشرقي من خليج العقبة . فقد رسم خارطتها وحدد عليها موقع مدينة (مدين) التاريخية بالاستناد الى الأخبار التي جمعها من المصادر القديمة ، والى مشاهداته في واحة (البدع) الكبيرة ، و تنقيباته في (مغاور شعيب) وخرائب (الحوراء) و (البرج) و (الملقطة) كما نشر في كتابه عن (شمالي الحجاز) صوراً شمسية ، ورسوماً توضيحية للمدافن الموجودة في هذه الأماكن ، والمحفورة في الصخر ، والتي ترجع ، حسب رأيه إلى عهد الأنباط .

عندما وصل (موزيل) ، في رحلته بين (العقبة) و (شرمة) ، الى واحة (عينونا) المشهورة بمياهها العذبة رجع الى كتاب الجغرافيا لبطلميوس الذي يشير الى مستوطنة (اونه) [Onne] في شمالي « بلاد العرب السعيدة » ثم قال : إن هذه هي نفسها التي يذكرها الجغرافيون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العرب باسم (عينونا) بدليل أن (ياقوت) في معجم البلدان يقول إنه يمكننا أن نكتب (عينونا) أو (عين أنا) لأن هناك سهلاً بين (الصلا) و (مدين) يسمى (أنا) كان يمر به الحجاج ، وفيه نبع يسمى (عين أنا) .

وقد شاهد (موزيل) بقايا قناة قديمة لنقل مياه الشرب من هذا النبع الى مرفأ (الخريبة) القريب ، حيث وجد ثكنة تركية ، وعلم أن بعض السفن كانت تأتي أحياناً الى هناك من (السويس) أو من مرفأ (ظبيء) لنقل البضائع والمحصولات .

وقد جمع (موزيل) في ملحق خاص المعلومات والأخبار المتناقلة عن (مدين) وسكانها القدماء في القرآن الكريم ، ولدى المؤلفين الرومان ، والمؤرخين والجغرافيين العرب ، كما توسع في بحث الروايات التي وردت في التوراة عن بلاد (مدين) وقبائلها . فقد جاء في سفر الخروج ان (موسى) قد لجأ الى بلاد مدين هرباً من (فرعون) . وبينما يذكر (جوزيفوس) في القرن الأول الميلادي مدينة (ماديانا) مقابل البحر الأحمر نرى (بطلميوس) في القرن الثاني يسميها (ماديامًا) ويعين موقعها عند الحدود الشمالية ـ الغربية للعربية السعيدة . أما (اوزيبيوس) في القرن الرابع فيتكلم على مدينة (مدين) وراء حدود « الولاية العربية » .

ويشير (موزيل) الى سور القرآن الكريم التي تذكر إرسال (شعيب) الى سكان (مدين) أو (أصحاب الأيكة) ، ثم يلاحظ أن قوله تعالى في سورتي (هود) و (العنكبوت) : « والى مدين أخاهم شعيباً » يدل على أن كلمة (مدين) كانت في الأصل اسم القبيلة التي ينتسب اليها قوم شعيب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد وصف (موزيل) ماشاهده في رحلته من أشجار (الدوم) التي تشبه النخيل ، والتي تكثر في منطقة مدين وتتشابك ، ثم نقل عبارة هامة عن معجم (لسان العرب) تقول إن كلمة (أيكة) تفيد الأجمة أي الشجر الكثير الملتف ، كما كان يشاهد حول مدينة (مدين) ، وإن كلمة (ليكا) كانت تطلق على مستوطنة مجاورة . ويلاحظ (موزيل) ان هذا الاسم يذكرنا بالكلمة اليونانية (لويكي) [Leuké]التي تعني الأبيض ، ثم يضيف قائلاً : إن الخرائب الموجودة الى جانب الأيك ماتزال تسمى (الحوراء) التي تفيد أيضاً (البيضاء) . وهو يعتقد ان مدينة (مدين) هي نفسها (الحوراء) .

هنا يعترضنا سؤال : أين كان يقع مرفأ (لويكي كومي) [Leuké komé] الذي تروي الأخبار أن القائد الروماني (ايليوس غالّوس) قد أنزل فيه جيشه عندما عهد اليه الامبراطور (أغسطس) سنة ٢٥ ق . م بمهاجمة بلاد العرب السعيدة ؟

لقد أشار (دوسو) في كتابه « توغل العرب في سورية قبل الاسلام [La peńétration des Arabes en Lyrie avant L´ yslam. Paris 1955] الى اختلاف الآراء بين الباحثين حول هذا المرفأ . ويبدو أن هناك عدة أماكن كان يطلق عليها الاسم ذاته . وقد اعتمد (دوسو) على دراسة (موزيل) التي استخلص منها أن مرفأ (لويكي كومي) هو نفسه مرفأ (الخريبة) وأن (ايليوس غالّوس) الذي جاء مع جنوده بالسفن من السويس ، لابد أن يكون قد التقى هناك . بحلفائه الانباط تحت قيادة الوزير (سيلايوس) أي (صالح) ، ثم سار بالجيش في الطريق المعروفة باسم (درب الرصيفية) ، حتى بلغ عاصمة السّبئيين (ماريابا) أي (مأرب) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن (موزيل) لم يؤكد سوى أن (غالّوس) قد اضطر ، بعد إخفاق حملته ، الى العودة عن طريق القوافل التي تمر بالحجر أي (مدائن صالح) ، وأنه اتجه من هناك الى الساحل ليبحر مع فلول جيشه من مرفأ (أجرا) الذي يذكره (سترابون) ، والذي هو ، كما يبدو ، تصحيف لكلمة (الحجر) . ويلاحظ (موزيل) أنه كان مألوفاً تسمية المرافىء على السواحل باسم المدن التابعة لها في داخل البلاد .

ثم ان (موزيل) قد نقل في الملحق الخاص مقاطع عديدة من مؤلفات المؤرخين والجغرافيين العرب التي تذكر مدينة (مدين) في العصور الاسلامية المختلفة .

هكذا نقل عن سيرة ابن هشام ان الرسول (صلعم) بعث زيد بن حارثة نحو (مدين) « فأصاب سبياً من أهل ميناء وهي السواحل وفيها جماع من الناس » . ويلاحظ (موزيل) ان هذا الخبر لايبين وصول زيد الى مدينة (مدين) وإنما يذكر غزوه للمرفأ الذي يرجح أن يكون الى الجنوب منها أي على شاطىء البحر الأحمر ، كما يشير الى ذلك (بطلميوس) .

ثم ينقل عن كتاب (البلدان) لليعقوبي أن مدينة (مدين) القديمة كان يسكنها في عهده (أي اواخر القرن التاسع الميلادي) أناس من مختلف القبائل يملكون البساتين ، ويسقون النخيل من أنهار وآبار غزيرة المياه .

أما عن كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للادريسي فينقل قوله: «إن مدينة مدين كانت تتقاطع فيها الطرق الرئيسية الممتدة من مصر وفلسطين والمتفرعة جنوباً الى المدينة ومكة وشرقاً نحو تبوك ومنها الى تيماء والحجر ، وإنها كانت في عهده (أي القرن الثاني عشر الميلادي) أكبر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من مدينة (تبوك) وإن فيها بئراً يقول السكان ان (موسى) كان يستسقي منها لبنات (شعيب) .

كذلك ينقل (موزيل) عن كتاب (المواعظ) للمقريزي انه في المرتين اللتين حج فيهما مر بمدينة (مدين) التي تقع على خليج القلزم ، وتبعد مسيرة خمسة أيام عن (أيلة) [المسافة ١٢٥ كيلو متراً] ويلاحظ المقريزي أن (مدين) المشهورة في القديم لم يبق منها في عهده (القرن الخامس عشر الميلادي) سوى بعض الخرائب ، وأطلال أبنية ضخمة ، وألواح ونقوش غريبة ، وأن السكان لايجدون فيها الا القليل من وسائل المعيشة .

وأخيراً ينقل (موزيل) عن كتاب (جهان نما)[1] لحاجي خليفة (من القرن الثامن عشر الميلادي) وصفه لمدين بأنها مدينة خراب تنبت حولها أشجار الأثل والدوم والنخيل ، وأن هناك في الوادي جدراناً مدمرة وألواحاً حجرية نقشت عليها أسماء مختلف الملوك .

٥ ـ (تبوك) :

كان الاستاذ (موزيل) يرغب كثيراً في زيارة (تبوك) ثم الحجر (أي مدائن صالح) والتنقيب بين آثارهما . ولكن مدير الناحية التركي في (تبوك) لم يسمح له بذلك ، وطلب اليه العودة الى معان بالسكة الحديدية . وعلى الرغم من انه قام ، دون علم المدير ، بجولة استمرت عشرة

[(1) جاء في كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة ١ : ٦٢٢ ـ ٦٢٣ : « جهان نما ـ تركي في الجغرافيا ، لجامع هذه الحروف . وهو كتاب مرتب على قسمين : الأول في البحور وصورها وجزائرها ، والثاني في البر وبلاده وانهاره وجباله ، ومسالك ممالكه ، على ترتيب الحروف . وفيه أحوال ماظهر بعد القرن التاسع [الهجري] من الأقاليم الجديدة » / المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيام في وادي (الجزل) الى الجنوب من تبوك فقد اضطر الى الاقتصار على وصف موقع المدينة وتصوير بعض مناظرها .

الا انه جمع في ملحق خاص مااستطاع أن يعثر عليه من أخبار عنها في مؤلفات الرومان والمؤرخين والجغرافيين العرب . وقد وجد في كتاب الجغرافيا لبطلميوس ذكر مستوطنة على الحدود الشمالية ـ الغربية من « العربية السعيدة » اسمها (تاباوا Thapaua) . وهو يعتقد ان هذه الكلمة محرفة عن (تاباوكا Thapaucha) أي تبوك .

٦ ـ طرق الحج :

بالاستناد الى مشاهداته في رحلته الى شمالي الحجاز تكلم الاستاذ (موزيل) في أحد الملاحق على الأماكن التي كان يمر بها طريق الحج من مصر وفي ملحق آخر على طريق الحج من دمشق . ثم في المجلد عن رحلته الى شمالي (نجد) أضاف ملحقاً خاصاً وصف فيه بالتفصيل طريق الحج من الكوفة كما شاهدها بنفسه ، ثم نقل ماورد من أخبار عن ذلك عند (الطبري) و (المسعودي) و (ابن خرداذبه) ، مع ذكر المراحل المختلفة وأسماء المحطات والمسافات بينها وأمكنة الآبار ومستودعات المياه ، ثم قارن هذه المعلومات بما يماثلها لدى مؤلفين آخرين مثل (قدامة بن جعفر) و (اليعقوبي) و (الهمداني) و (المقدسي) و (ابن جبير) و (ياقوت) و (ابن بطوطة) ...

٧ ـ (البزاخة) :

في رحلته الى شمالي (نجد) ، عندما تجول الاستاذ (موزيل) في الجنوب من مدينة (حائل) شاهد سلسلة جبال (سلمى) ، والى الغرب منها سلسلة جبال (الرمان) ، وقد رجع الى (معجم البلدان) لياقوت ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذي يقول ان هذه الجبال تقع داخل أراضي طيّئ ثم يروي كيف حارب (خالد بن الوليد) المرتدين ، وهزم أتباع (طليحة بن خويلد) من بني أسد في مكان يسمى (البزاخة) . وبعد مراجعة ماورد عن هذه المعركة عند الطبري والبلاذري يحدد (موزيل) موقع (البزاخة) على بعد خمسين كيلو متراً الى الشمال من جبال (الرمان) ويذكر أن هناك عدة آبار حولها ...

٨ ـ (دومة الجندل) :

من البحوث الهامة التي قام بها الاستاذ (موزيل) في أحد الملاحق دراسته عن واحة (دومة الجندل) . إن هذه الواحة التي يطلق عليها اليوم اسم (الجوف) قد زارها (موزيل) مرة في سنة ١٩٠٩ م ومرة ثانية في سنة ١٩١٥ م ونشر صوراً شمسية عن بقايا حصن (مارد) ، وعن الآبار والحدائق وغابات النخيل فيها ثم استعرض في الملحق صفحات من تاريخها .

يأتي ذكر (دومة) في سفر التكوين من التوراة ، ولكن (موزيل) يذهب الى أن الاسم هناك ربما كان يقصد به بلاد (أدوم) . وعلى العكس من ذلك فهو يؤكد على ان (أدومو) التي وردت في النقوش الكتابية الآشورية ، ووصفت بأنها قلعة تقع في قلب صحراء قاحلة هي (دومة الجندل) التي استولى عليها الملك (سنحريب) ، ونقل أصنامها مع (ملكة العرب) الى (نينوى) في حدود سنة ٦٨٨ ق . م . ويذكر (بلينيوس) ، و (بطلميوس) أن مدينة (دوماتا) تقع في بلاد العرب الصحراوية .

ثم تتبع الاستاذ (موزيل) أقوال المؤرخين والجغرافيين العرب عن (دومة) أو أحياناً (دوماء) التي كانت تسمى أيضاً (دومة الجندل) أو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(دومة خبت) . فنقل ما أورده عن موقعها وبعدها عن الكوفة ودمشق والمدينة ، وعن الطرق التجارية المارة بها والسوق التي كانت تقام فيها كل سنة برعاية الغساسنة وعن قلعتها المعروفة باسم (المارد) ، وعن الصنم الذي كان يعبد فيها ، والذي حطمه خالد بن الوليد ، وعن قصة الملك (أكيدر بن عبد الملك الكندي) ، وعن زعيم قبيلة كلب (الأصبغ بن عمرو) ، وعن الغزوات الاسلامية الثلاث على (دومة الجندل) في عهد الرسول (صلعم) ، وفي خلافة أبي بكر الصديق ، وناقش الروايات المختلفة وكشف عن التناقضات بينها ، وعن الأغلاط التي وقع فيها المستشرق الطلياني (كايتاني) عند بحثه عن (دومة الجندل) ، وفي الأخير استعرض الأخبار التي تذكر (دومة الجندل) في العصور التالية سواء لدى الجغرافيين العرب : (البكري) و (الادريسي) و (ياقوت) أو لدى الرحالة الغربيين : (ينبور) و (بوركهاردت) و (واللين) ..

٩ ـ مسيرة (خالد بن الوليد) من العراق الى الشام :

بحث الأستاذ (موزيل) في ملحق مطول موضوعاً هاماً من تاريخ الفتوحات الاسلامية تضاربت حوله الروايات ، أعني بذلك الطريق التي سلكها (خالد بن الوليد) في مسيرته من العراق الى الشام . فقدَ تلقى (خالد بن الوليد) وهو بالحيرة كتاباً من الخليفة (أبي بكر) يأمره فيه بالاسراع الى نجدة المسلمين المحاربين في الشام . وقد امتثل (خالد بن الوليد) للأمر في الحال ، وكان عليه أن يختار أقصر وأسلم طريق من الحيرة الى دمشق . فماذا كانت هذه الطريق ؟ ان الأستاذ (موزيل) قد قام بتصنيف الروايات المتناقلة عن مسيرة (خالد بن الوليد) فذكر : ١) رواية ابن اسحق ، حسبما نقلها الطبري : ٢) رواية ابن عساكر : ٣) رواية ابن العبري : ٤) رواية المدائني (كما وردت في تاريخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الطبري) ، والماوردي (كما وردت في تاريخ ابن عساكر) ؛ ٥) رواية الهيثم بن عدي (حسبما وردت في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة) ؛ ٦) رواية البلاذري في كتابه (فتوح البلدان) . ثم حاول الاستاذ (موزيل) أن يبين الاختلافات بين هذه الروايات ، ويثبت الأماكن التي ورد ذكرها فيها ، ويكشف عن الأسباب التي دفعت (خالد بن الوليد) الى تجنب المرور ببعض هذه الأماكن وتفضيل غيرها عليها ، كما أشار الى الأخطاء التي وقع فيها المستشرق (كايتاني) عند بحثه هذا الموضوع في كتابه (حوليات الاسلام) .

وقد نشر (طه باشا الهاشمي) في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (في المجلّدين ٢٧ / ٢٨) (سنة ١٩٥٢ / ١٩٥٣) مقالاً مفصلاً عن (سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام) اعتمد فيه على دراسة الأستاذ (موزيل) الذي قال عنه إنه استطاع ارجاع سبب الاختلاف بين الرواة الى جهلهم الأماكن التاريخية التي يذكرون اسماءها ، وعلى الأخص موقع (قراقر) و (سوى) اللذين مر بهما (موزيل) في رحلته الى العربية الصحراوية وثبتهما على الخارطة ، كما انه وصف طبيعة الأراضي وحدد المسافات بين مراحل الطريق وذكر الآبار التي لابد من ورودها ...

١٠ ـ بلاد العرب في الكتابات الآشورية :

في المجلد الثاني الخاص « بالعربية الصحراوية » من رحلة الاستاذ (موزيل) هناك ملحق خاص جمعت فيه الوثائق الآشورية القديمة عن البلاد العربية وعن العرب اعتباراً من القرن التاسع قبل الميلاد . وقد وردت في هذه الوثائق أسماء بعض القبائل العربية في شمالي جزيرة العرب . كذلك نجد أخبار الحملات التي قام بها ملوك آشور ضد بلاد العرب . وفي أخبار الحملة التاسعة مثلاً التي جرت في عهد (آشور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بانيبال) نحو سنة (٦٤٠ ـ ٦٣٨ ق . م) جاء ذكر بعض الأمكنة التي كانت تسكنها القبائل المحاربة ، ووصف الطريق التي سلكتها الجيوش الآشورية بعد أن قطعت مسافة مائة ميل من (نينوى) ، فوصلت الى جبال تغطيها الأحراج والأشجار الباسقة ، وتكثر فيها الحشائش والأشواك . ويقول (موزيل) : ليس هناك في بلاد العرب الصحراوية مثل هذه الجبال الا بمنطقة (تدمر) في سلسلة جبال (البشري) وفي جبال (ابو رجمين) وجبال (الرواق) . ولهذا يجب أن نبحث ضمن هذه المنطقة عن الأماكن المذكورة في أخبار تلك الحملة ..

١١ ـ آثار الرومان :

خلال رحلته في بادية (تدمر) وتجواله بين (وادي العصافير) و (خان الشامات) و (القريتين) و (حمص) و (تدمر) و (الرصافة) كان الأستاذ (موزيل) يشير عند كل مناسبة الى آثار الطرق والحصون والقواعد العسكرية الرومانية في مختلف الأماكن . وقد خصص أحد الملاحق لاستقصاء الأخبار لدى الكتاب الرومان عن الطرق ، وعن تحصينات الحدود الرومانية ، وملحقاً آخر عن الطرق في بادية (تدمر) حسبما ذكره الكتاب العرب .

١٢ ـ آثار (الرصافة) :

من أهم الموضوعات التي تعرض لها الأستاذ (موزيل) آثار مدينة (الرصافة) في حوض الفرات . فقد وصف موقع المدينة وبقايا أسوارها وخرائب أبوابها وكنائسها ، ونشر كثيراً من الصور والرسوم عنها ، ثم جمع في ملحق خاصٍّ الأخبارَ عن تاريخها في العهد الآشوري والعهد الروماني والبيزنطي وفي العهد الاسلامي . وخصص ملحقاً آخر لدراسة قام بها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أحد زملائه في جامعة (براغ) حاول فيها رسم مخطط المدينة واعادة إنشاء الكثير من أبنيتها .

يتبين لنا من هذه الأمثلة ان الاستاذ (موزيل) قد جمع في رحلاته مادة غنية عن القسم الشمالي من جزيرة العرب يمكن الاستفادة منها عند دراسة تاريخ هذه البلاد . فقد وصف الجبال والوديان ، وحدّد مواقع المدن والقرى والمرافىء والطرق ، وأشار الى الينابيع والآبار . وكان ينتهز كل مناسبة لذكر الأحداث التاريخية التي شهدتها هذه الأماكن في مختلف العصور . لذلك نستطيع أن نعتبر مؤلفاته من أهم المصادر الأجنبية لدراسة تاريخ الجزيرة العربية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net